برد الأكباد عند فقد الأولاد

للشيخ الحافظ المحدث

أبي عبدالله محمد بن عبدالله

المعروف بابن ناصر الدين الدمشقي المتوفى سنة ٨٤٢ هـ



قدم له

عبد القادر شيبة الحمد

عضو هيئة التدريس بقسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

برد الأكباد عند فقد الأولاد

للشيخ الحافظ المحدث أبي عبدالله محمد بن عبدالله
المعروف بابن ناصر الدين الدمشقي
المتوفى سنة ٨٤٢هـ

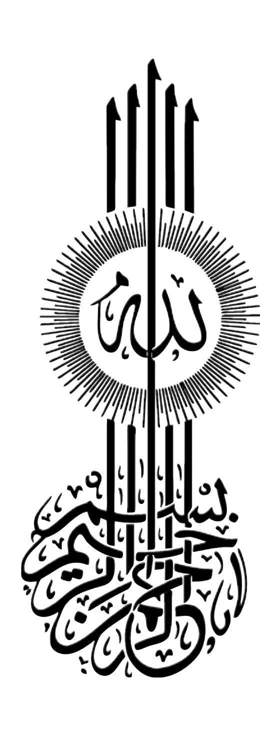
قدم له

عبدالقادر بن شيبة الحمد

عضـو هيئة التدريس بقسـم الدراســات العليا
بالجامعـــة الإســـلامية ســابقًا
والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

ح عبدالقادر شيبة الحمد، ١٤٣١هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الدمشقي، ابن ناصر الدين
بـرد الأكبـاد عنـد فقـد الأولاد./ ابـن نـاصر الدمشـقي.-
الرياض، ١٤٣١هـ
٨٨ص، ١٤× ٢١ سم
ردمك: ٧-٠٣٣٠-٦٣٣٠ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١-الوعظ والإرشاد ٢ - التربية الإسلامية أ. العنوان
ديوي ٢١٣ ٩٣٧٥/ ١٤٣١
رقم الإيداع: ٩٣٧٥/ ١٤٣١
ردمك: ٧-٦٣٣٠- ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م





تعريف بالكتاب

هـذا الكتـاب الذي بين يديـك أيها القـارئ، درة فريدة في باب المواسـاة، والمواساة حق إنساني حضَّ عليه الدين، ورغّب فيـه الإسـلام، وهو خلق فاضل، وسـجية محمودة. لا سـيما إذا كانت المواساة لفقد فلذة من فلذات الأكباد. والتعزية من كتاب الله وسـنة رسـوله، إذا صدرت من عارف بها، كانت كالغيث أصـاب أرضًا جدباء، فإذا هي جنـة فيحاء، وبالرغم من حاجة النـاس الملحَّة إلى مثل هـذا النوع من التأليف، فإنا لا نعلم كتابًا ألّف فيه غير كتابين اثنين باسـمين متشـابهين، هما كتاب (تبريد حـرارة الأكبـاد، في الصبر على فقد الأولاد) للشـيخ الكمال أبي حفـص عمر بن أحمـد بن العديـة الحلبي المتوفى سـنة ٦٦٠هـ، وثاني الكتابين هو (برد الأكباد عند فقد الأولاد) وهو هذا.

ولعل الكتاب الثاني مسـتفاد من الأول ومختصر منه، فقد ذكر صاحب كشـف الظنون: أنه مختـصر، وقد ذكر المؤلف في كتابـه: أنه تذكرة لأولى الألباب، وتسـلية لكل مؤمن مصاب، تشرح صدره وتجلب صبره، وأنه كتبه على اسـتعجال لغرض اقتضاه الحال، وهو موت ولد أحد السادة المحسنين.

والناظـر في هـذا الكتاب يعجـب لهذا الأسـلوب الرائع في التعزيـة والمواسـاة، فبينا القارئ يرتع في روضـة أينعتها آية قرآنية، إذا به يقدم له درة نفيسـة من موعظة نبوية، ثم ينشد له من شعره أو نظم غيره رقيقة شعرية، ولا ينسى أن ينقل في هذا الكتـاب قصصاً نقلها الأصمعـي وغيره عن بعض الأعراب، هي في باب المواعظ عجيبة غريبة.

لذلك كان هذا الكتاب درة نفيسة، ينبغي أن تنشر وتشاع، وينتفع الناس بها في سائر البقاع.

فمن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة.





• نسبه ومولده:

هو حافظ دمشق شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر عبدالله بن محمد بن أحمد بن مجاهد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن علي القيسي الدمشقي، الشهير بابن ناصر الدين.

ولد في أواسط محرم سنة سبع وسبعين وسبع مئة بدمشق.

• نشأته وشيوخه:

نشأ بدمشق، وحفظ القرآن العزيز وعدة متون، وسمع الحديث في صغره من الحافظ أبي بكر بن المحب، وتلا بالروايات على ابن البانياسي، ثم أكبَّ على طلب الحديث ولازم الشيوخ، وسمع من خلق، منهم: بدر الدين بن قوام، ومحمد بن عوض، والعز الأبناسي، وابن غشم المرداوي، والصدر المناوي، ونجم الدين بن العز، وبرهان الدين بن عبدالهادي، وأبو هريرة بن الذهبي، وخلائق يطول ذكرهم.

وأخبر السخاوي أنه قرأ على ابن حجر، وأن ابن حجر قرأ عليه، ومهر في الحديث، وكتب وخرّج، وعرف العالي والنازل، وخرّج لنفسه ولغيره، وصار حافظ الشام بلا منازع.

وقد أخذ العربية: عن ابن البانياسي وغيره.

وقد أخذ الفقه: عن ابن خطيب الدهشة، والسراج البلقيني.

وأجاز له من القاهـرة: الحافظ الزين العراقي والسراج ابن الملقن وغيرهما.

واشتهر اسمه وبعُد صيته، وألّف التآليف الجليلة.

- **مؤلفاته:**

منها:

١ - توضيح مشتبه الذهبي في ثلاثة مجلدات كبار.
٢ - الإعلام بما وقع في مشتبه الذهبي من الأوهام، وهو مجرد من الكتاب السابق.
٣ - بديعة البيان عن موت الأعيان نظماً.
٤ - التبيان شرح منظومة بديعة البيان.
٥ - عقود الدرر في علوم الأثر نظماً.
٦ - الشرح المطول لعقود الدرر.

٧- الشرح المختصر لعقود الدرر.

٨- السراق من الضعفاء.

٩- كشف القناع عن حال من افترى الصحبة والأتباع.

١٠- إتحاف السالك برواية الموطأ عن مالك.

١١- جامع الآثار عن مولد المختار. ثلاثة أسفار كبار.

١٢- مورد الصادي في مولد الهادي.

١٣- اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق، وهو مختصر من جامع الآثار.

١٤- رسالة في المعراج.

١٥- رسالة في الوفاة النبوية.

١٦- افتتاح القاري لصحيح البخاري.

١٧- تحفة الإخباري بترجمة البخاري.

١٨- منهاج السلامة في ميزان القيامة.

١٩- التنقيح لحديث التسبيح.

٢٠- جزء في فضل يوم عرفة.

٢١- جزء في فضل يوم عاشوراء.

٢٢- برد الأكباد عند موت الأولاد. وهذا هو.

٢٣- نفحات الأخيار في مسلسلات الأخبار.

٢٤- الأربعون المتباينة الأسانيد والمتون.

٢٥- مسند تميم الداري وترجمته.

٢٦- عرف العنبر في وصف المنبر.
٢٧- الروض الندي في الحوض المحمدي. مجلد. ذكر فيه طرق حديث الحوض من ثمانين طريقًا.
٢٨- ربع الفرع في شرح حديث أم زرع.
٢٩- رفع الدسيسة بوضع حديث الهريسة.
٣٠- جزء فيه أحاديث ستة عن حفاظ ستة في معان ستة من مشائخ الأئمة الستة، بين مخرجيها وبين رواتها ستة.
٣١- نيل الأمنية بذكر الخيل النبوية.
٣٢- الإملاء الأنفسي في ترجمة عسعسي.
٣٣- إعلام الرواة بأحكام حديث القضاة.
٣٤- الأعلام الواضحة في أحكام المصافحة.
٣٥- إطفاء حرقة الحوبة بإلباس خرقة التوبة.
٣٦- مختصر في مناسك الحج.

وعدة مصنفات أخر.

• وفاته:

توفي بدمشق في ليلة الجمعة سادس عشر من ربيع الآخر سنة ٨٤٢هـ.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العادل فيما قدره وقضاه، القادر القاهر بما أمر به من أمره وأمضاه، فمن رضي بذلك أنعم عليه فأرضاه، ومن سخطه فله السخط ولقد أبعده وأقصاه، فبؤسًا للذين لقضائه يسخطون، وتعسًا لمن بأحكامه يتبرمون، وهنيئًا لمن لأفعاله يسلِّمون، ولحكمه يستسلمون، فهم بكل قضاه راضون؛ وعلى كل حال قائلون: إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون.

فنحمد الله على حلو القضاء ومره، ونشكره دائماً على ما أنفذ من أمره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ شهادة صابر على مصابه، موقن بما وعد الله على الصبر من جزيل ثوابه، وأوعد على السخط من وبيل عقابه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المأمون، الذي جعل الله مماته تسلية لكل مؤمن محزون، وأنزل عليه في كتابه المكنون، وخطابه المأمون ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾، صلى الله عليه وعلى آله ذوي الشرف العالي، والفخر المؤيد، وعلى أصحابه أولى المعالي والرأي السديد، وسلم تسليما كثيراً لا ينقطع ولا يبيد.

أما بعد، فهذه تذكرة لأولي الألباب، وتسلية لكل مؤمن مصاب، تشرح صدره، وتجلب صبره، وتهون خطبه، وتجفف أمره، ويلحظ بها ثوابه على الصبر وأجره. كتبتها على استعجال في أوائل شهر شوال، لغرض اقتضاه الحال، حين بلغني موت ولد بعض السادات المحسنين والإخوان الأعزين الأكرمين، أعظم الله أجره على مصابه، ولا حرمه جزيل ثوابه، وألهمه التسليم لأمره، والرضى بالقضاء حلوه ومره، وأخلف عليه من مصابه أحسن الخلف، ولطف به كما لطف بصالح السلف، بمنه وكرمه وأقول:

سبحان من يبتلي أناسا
أحبهم والبلاء عطاء

فاصبر لبلوى وكن راضياً
فإن هذا هو الدواء

سلم إلى الله ما قضاه
ويفعل الله ما يشاء

والتعزية سنة سنية، وخصلة مستحبة مرضية، ولم أجد تعزية للمصاب أعظم من آيات في الكتاب، يليها أخبار

وآثار ممزوجة بحكايات وأشعار، فلخصت من ذلك ما حضرني معزواً مخرجاً، ليكون للمشار إليه، ولكل مصاب فرجاً ومخرجاً، ولأشارك المصاب في ثوابه وبره، لما رويناه عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من عزى مصاباً فله مثل أجره**» أخرجه الترمذي وابن ماجة وغيرهما. وعن عمرو بن حزم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة**» انفرد ابن ماجة بإخراجه. وفي الباب عن أبي هريرة وأبي برزة وجابر وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وهذا حين الشروع في المراد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، قال الله عز وجل: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾، قيل: يعطون عطاء كثيراً أوسع

من أن يحسب أو يحاط به، والآيات الشريفات في ذكر الصبر كثيرات.

وأما الأحاديث النبوية في فضل الصبر وثوابه والأمر به لمن ألمه نزول مصابه، فكثيرة جداً.

منها: حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها**» خرَّجه مسلم في صحيحه، والإمام أحمد في مسنده، وابن ماجة في سننه، والنسائي مختصراً في كتابه (عمل اليوم والليلة)، وهو حديث عظيم الفوائد، جليل الأحكام، وهو أصل من أصول الإسلام، وفيه الإشارة إلى أن الصابر لا يزال مستضيئاً بنور الهداية، مستمراً على الصواب، مع ما في ذلك من حصول الأجر والثواب.

وخرَّج مسلم أيضاً من حديث صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس**

ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، وكان خيراً له. وإن أصابتـه ضراء صـبر، وكان خـيراً له» وعن سـعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسـول الله ﷺ قال: **«ألا أعجبكم، إن المؤمـن إذا أصاب خيراً حمد الله وشكر، وإذا أصابته مصيبة حمد الله وصبر، فالمؤمن يؤجر على كل شيء حتى اللقمة يرفعها إلى فيه»** خرَّجه النسائي.

وأقول:

يجري القضاء وفيه الخير نافلة

لمؤمـن واثـق بـالله لا لاهي

إن جـاءه فـرج أو نابه ترح

في الحالتـين يقول الحمد لله

قال المبارك بن فضالة العدوي البصري سمعت الحسن يقول: كان أيوب عليه الصلاة والسـلام كلما أصابته مصيبة قال: «اللهم أنـت أخذت، وأنت أعطيت، مهما تبقي نفسي، أحمدك على حسن بلائك».

وفي الصحيحين عن أبي سـعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قـال: **«من يتصبرَّ يصبِّره الله، ومـا أُعطـيَ أحدٌ عطاء**

خيراً وأوسع من الصبر» وخرَّجه أبو داود والترمذي والنسائي.

وخرَّج الحاكم أبو عبدالله في مستدركه، وصححه عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعاً «**ما رزق الله عبداً خيراً له ولا أوسع من الصبر**»، وعن أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «**إن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام أني باعث من بعدك أمة، إن أصابهم ما يحبون حمدوا الله، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا، ولا حلم ولا علم. فقال: يا رب كيف يكون هذا؟ قال أعطيهم من حلمي وعلمي**» خرجه الإمام أحمد وأبو بكر البزار في مسنديهما والطبراني في معجمه الأوسط والحاكم في مستدركه وصححه.

وعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن عِظَمَ الجزاء مع عِظَم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضَا، ومن سخط فله السخط**» خرَّجه الترمذي.

وعن محمود بن لبيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أحب الله قوماً ابتلاهم، فمن صبر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع**» خرَّجه الإمام أحمد في مسنده.

وقد صح عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أن رسول الله ﷺ أتى على امرأة تبكي على صبي لها، فقال لها: **اتقي الله واصبري**. فقالت: وما تبالي بمصيبتي؟ فلما ذهب قيل لها: إنه رسول الله ﷺ فأخذها مثل الموت، فأتت بابه فلم تجد على بابه بوابين، فقالت: يا رسول الله، لم أعرفك؟ فقال: **إنما الصبر عند أول صدمة**» خرَّجاه في الصحيحين. ومعنى إنما الصبر عند أول صدمة، وفي رواية «**عند الصدمة الأولى**» أن كل ذي مصيبة آخر أمره الصبر، ولكنه إنما يحمد عند حدتها، وفور شدتها؛ لأن مصير ذي الجزع إلى السلوان، ولو أقام على قبر ميته مدة زمان.

روينا: أن الحسن بن الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ «لما مات ضربت امرأته القبة على قبره سنة، ثم رفعت، فسمعوا صائحاً يقول: الأهل وجدوا ما فقدوا؟ فأجابه آخر: بل يأسوا فانقلبوا» علقه البخاري في صحيحه. وفي رواية «لما تسلت وقلعت الخيمة، سمعوا هاتفاً يقول: ولا يرون أحداً أدركوا ما طلبوا. فأجابه: بل يأسوا فانصرفوا».

والأحاديث في ذكر الصبر وفضله كثيرة، اقتصرنا منها على هذه النبذة اليسيرة.

ومعنى الصبر لغة: الحبس، ومداره على أركان ثلاثة؛ إمساك النفس عن التسخط بالقضاء، وحبس اللسان عن القول السيئ والبذيء، وتقييد الجوارح عن المعصية؛ كاللطم وشق الثياب، وتسويد الفنا. فإذا قام الإنسان بهذه الأركان حاز فضيلة الصبر الذي هو نصف الإيمان، وانقلبت محنته منحة عظيمة، واستحالت بليته عطية جسيمة، وصار ما كرهه محبوباً، وللأجور العظيمة حائزاً مصيباً» خرجه الترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**الزهادة في الدنيا: أن لا تكون بما في يديك أوثق مما في يد الله، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها بقيت لك**».

وجاء عن علقمة عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه «في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾، قال: هي المصيبة تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلِّم» وعلَّقه البخاري في صحيحه عن علقمة بنحوه.

وعن أم الدرداء رضي الله عنها أنها كانت تقول: «إن الراضين بقضاء الله الذين ما قُضي لهم رضوا به، لهم في الجنة منازل يغبطهم بها الشهداء، يوم القيامة».

وقـال أحمد بن أبي الحواري حدثنـي جعفر بن محمد بن الأبنا قـال: «ذكروا عند رابعة عابداً كان في بني إسرائيل، لا يطعم إلا في كل سـنة مرة، ينزل من متعبده، فيأتي مزبلة على باب الملك، فيتقمـم من فضـول مائدته، فقال رجل عندها -أي عنـد رابعـة-: وما عـلى هذا إن كان في هـذه المنزلة، إن سـأل الله تعالى أن يجعل رزقه من غير هذا؟ فقالت رابعة: يا هذا إن أولياء الله إذا قُضي لهم قضاء لم يتسخطوه».

وما ورد مـن المأثور فيما للمصاب من الأجور أحاديث جمة مصرحة بحصول الثواب والرحمة.

منها: ما أخرجه البخاري وغيره، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**من يرد الله به خيراً يصب منه**».

وعن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قال: «سمعن رسول الله ﷺ يقول: «**ما ابتلى الله عبداً ببلاء وهو على طريقة يكرهها، إلا جعل الله ذلـك البلاء كفارة وطهوراً، مـا لم ينزل ما أصابه بغير الله، أو يدع غير الله في كشـفه**» خرجه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفارات.

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ **قال: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد، حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة**» خرجه الترمذي والنسائي وابن ماجة وابن أبي الدنيا. وصححه الترمذي وهو في صحيح أبي حاتم ابن حبان. ولفظه عن سعد قال: «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الناس أشد بلاء؟ قال: **الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الناس على قدر دينهم، فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي في الناس ما عليه خطيئة**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله، حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة**» خرجه الترمذي والحاكم. وصححاه.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه**».

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**أتى رسول الله ﷺ شجرة فهزها حتى تساقط ورقها ما شاء الله أن يتساقط، ثم قال: للمصيبات والأوجاع أسرع في ذنوب ابن آدم مني في هذه الشجرة**» خرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده وابن أبي الدنيا.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمل، فما يزال يبتليه مما يكره حتى يبلغه إياها**» خرَّجه أبو يعلى أيضاً، ومن طريقه خرجه ابن حبان في صحيحه.

وعن بريدة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما أصاب رجلاً من المسلمين بلية فما فوقها، حتى ذكر الشوكة إلا لإحدى خصلتين، إما ليغفر الله له من الذنوب ذنباً لم يكن ليغفر له إلا بمثل ذلك، أو يبلغ به من الكرامة كرامة لم يكن ليبلغها إلا بمثل ذلك**» خرجه أبو بكر ابن أبي الدنيا.

وقال أبو المليح: حدثنا محمد بن خالد السلمي عن أبيه عن جده -وكان لجده صحبة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أنه خرج زائراً لرجل من إخوانه فبلغه أنه شاك قبل أن يدخل عليه، فقال:

أتيتك زائراً، وأتيتك عائداً ومبشراً، قال: كيف جمعت هذا؟ قال: خرجت وأنا أريد زيارتك، فبلغني شكايتك، فكانت عبادة، وأبشرك بشيء سمعته من رسول الله ﷺ قال: « **إذا سبقت للعبد من الله عز وجل منزلة لم يبلغها** -أو قال- **لم يغلها بعمله ابتلاه الله عز وجل في جسده، أو في ولده، أو في ماله، ثم صبَّره حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل** » خرجه أبو موسى المديني في التتمة. وهو في مسند الإمام أحمد وأبي يعلى الموصلي، رحمهما الله. وخرجه الطبراني في معجمه الكبير والأوسط بنحوه.

والابتلاء في الأولاد من أعظم الابتلاء وأثقل الأنكاد، وهو نار تستعر في الفؤاد، وحرقة تضطرم في الأكباد؛ ولهذا كان ثواب الصبر على ذلك جزيلاً، ويكون أجره في ميزانه يوم القيامة ثقيلاً.

خرج النسائي عن أبي سلمى رضي الله عنه راعي رسول الله ﷺ يقول: «**بخ بخ بخمس ما أثقلهن في الميزان: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، والولد الصالح يتوفى للمرء فيحتسبه**»، وخرَّجه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه والطبراني في معجمه الكبير.

وجاء من حديث ثوبان فيما خرجه البزار في مسنده، وحسن إسناده. ومن حديث سفينة فيما خرجه الطبراني في معجمه الأوسط بإسناد جيد لكنه من الأفراد.

وفي الحديث الطويل المروي عن عبدالرحمن بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ في قوله: «**إني رأيت البارحة عجباً. قال: ورأيت رجلاً من أمتي خف ميزانه فجاءه أفراطه فثقلوا ميزانه**» الحديث بطوله.

وقال خلاد بن منصور الواسطي: حدثنا داود بن أبي هند قال: «رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت، وكأن الناس يدعون إلى الحساب، قال: فقربت إلى الميزان فوضعت حسناتي في كفة وسيئاتي في كفة، فرجحت السيئات على الحسنات، فبينا أنا كذلك مغموم، إذ أتيت بشيء كالمنديل أو كالخرقة البيضاء، فوضعت مع حسناتي - يعني فرجحت- فقيل له: تدري ما هذا؟ قلت: لا. قال: سقط كان لك. قلت: فإنه قد ماتت لي صبية ابنة لي. فقيل لي: تيك ليست لك؛ لأنك كنت تتمنى موتها»، داود بن أبي هند هذا رأى أنس بن مالك، وكان أحد أعلام الأمة، صائم الدهر، قانتًا لله، توفي سنة أربعين ومئة.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد، فتمسه النار إلا تحلة القسم**» وخرجه الترمذي والنسائي. قال الترمذي: وفي الباب عن عمر ومعاذ وكعب بن مالك، وعتبة بن عبد، وأم سلمة، وجابر، وأنس وأبي ذر وابن مسعود، وأبي ثعلبة الأشجعي، وابن عباس وعقبة بن عامر، وأبي سعيد، وقرة ابن إياس المزني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم. انتهى.

وخرج مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أتت امرأة النبي ﷺ بصبي لها، فقالت: يا رسول الله ادع الله له، فلقد دفنت ثلاثة. فقال: **دفنت ثلاثة؟** قالت: نعم. قال: **لقد احتضرت بحضار شديد من النار**» وروينا من حديث علي ابن عياش حدثنا حفص حدثنا عاصم عن أبي رزين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ أنه قال «**ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد، إلا كان لهما حائطاً بينهما وبين النار**» ومن حديث عتبة بن عبدالسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**ما من رجل يموت له ثلاثة من الولد، لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية، من أيها شاء دخل**» وخرجه ابن ماجة والطبراني في معجمه الكبير.

وعـن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال: قال رسـول الله ﷺ «**ما من مسـلمين يمـوت لهـما ثلاثة مـن الولـد لم يبلغـوا الحنث، إلا أدخلهما الله وأبويهما الجنة. قال: يكونون على باب من أبواب الجنة فيقـال لهم: ادخلوا الجنة، فيقولـون: حتى يجيئ آباؤنا. فيقـال لهم: ادخلوا الجنة. فيقولـون: حتى يجيئ آباؤنا. فيقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم بفضل رحمة الله**».

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال لنسـوة من الأنصار «**لا يموت لإحداكن ثلاثة من الولد فتحتسـبهم إلا دخلت الجنة، فقالت امـرأة منهن: أو اثنين يا رسـول الله؟ قال: أو اثنين**»، وفي الصحيحين عن أبي سـعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ **فقالت:** يا رسول الله ، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يومًـا نأتيك به، تعلمنا مما علمك الله. قال: **اجتمعن يوم كذا وكـذا.** فاجتمعـن. فأتاهن رسـول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله. ثـم قال: **مـا منكن من امـرأة تقدم بين يديهـا من ولدها ثلاثـة، إلا كانـوا لها حجاباً من النار**، فقالـت امرأة: واثنين؟ فقال رسول الله ﷺ: **واثنين**» وخرجه النسائي.

وعــن أبي عبيــدة بــن عبدالله بن مســعود عــن أبيه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قــال: قال رســول الله ﷺ: «**من قــدم ثلاثة لم يبلغــوا الحنث، كانــوا لــه حصنًــا حصينًا**». قــال أبو ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: قدمــت اثنين. قال: «**واثنــين**». فقال أبي بن كعب ســيد القراء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قدمت واحداً؟ قال: «**وواحداً، ولكن إنما ذلك عند الصدمة الأولى**» خرجه أحمد والترمذي وابن ماجة.

وصح من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله عز وجل: ما لعبدي المؤمن جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة**».

وعــن ابــن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا «أنه ســمع رســول الله ﷺ يقول: «**مــن كان لــه فرطان مــن أمتي أدخلــه الله بهما الجنــة**، فقالت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا : فمن كان له فرط من أمتك؟ قال: **ومن كان له فــرط يا موفقة**. فقالت: فمن لم يكن له فرط من أمتك، قال: **فأنــا فرط أمتي، لن يصابــوا بمثلي**» خرجه الترمذي، وهو في مسند الإمام أحمد، ومعجم الطبراني الكبير.

وخرج ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء من حديث ضمرة ابــن ربيعــة، عن رجاء بــن جميل الأيــلي، رفعــه إلى النبي ﷺ

قـال: «**من مات ولم يقدم فرطـاً لم يرد الجنة إلا تصريداً. قيل: يا رسـول الله، ما الفـرط؟ قال: الولد. أو ولـه الولد، والأخ يؤاخيـه في الله عـز وجل، فمن لم يكن له فـرط. فأنا له فرط**» التصريد: السـقى دون التري، ويسـتعمل في التعليل. يقال: صرد له العطاء إذا أقلله.

وروينـا عـن عـلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «**إن السـقط ليراغم ربه عز وجل إذا دخل أبواه النار. فيقال: أيها السقط المراغم ربه، أدخل أبويك الجنة، فيجرهما بسرره حتى يدخلهما الجنة**» المراغمة. المغاضبة.

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**والذي نفسي بيده إن السـقط ليجر أمه بسرره إلى الجنة إذا احتسبته**» انفرد بإخراجه، وإخراج الذي قبله ابن ماجة. وحديث معاذ خرجه أيضاً عبد بن حميد في مسنده مطولاً، ولفظه عن معاذ ابن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلمين يمـوت لهما ثلاثة من الولد، إلا أدخل الله والديه الجنة بفضل رحمته إياهم**. قالوا: واثنين يا رسول الله؟ قال: **واثنين**. قالوا: وواحداً يا رسـول الله؟ قال: **إن السـقط ليجر أمه بسرره إلى**

الجنة» والسرر: ما تقطعه القابلة من سرة المولود، ويقال: سر أيضاً.

وخرَّج ابن ماجة أيضاً عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**السقط أقدمه بين يدي أحب إليَّ من فارس أخلفه خلفي**» وقال ليث بن أبي سليم عن سعيد عن حميد ابن عبدالرحمن الحميدي -لعله الحميري- «قال: يا رسول الله، مالي من ولدي؟ قال: **ما قدمت منهم**».

وخرج مسلم عن أبي حسان واسمه مسلم بن عبدالله الأعرج، قال: قلت لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنه قد مات لي ابنان فما أنت محدثي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا. قال: نعم، صغارهم دعاميص الجنة، فيلقى أحدهم أباه - وقال أبويه- فيأخذ بثوبه وقال كما أخذنا بصنفة ثوبك هذا، فلا يتناهى - أو قال ينتهي- حتى يدخله الله وأبويه الجنة»، قال: والدعموص دويبة تغوص في الماء. وجاء في رواية «ينغمسون في أنهار الجنة» - يعني يغصون في الأنهار - والغمس: الغوص. فهم يلعبون في أنهار الجنة، وصنفة الثوب - بكسر النون - طرفه، وهي جانبه الذي لا هدب له. ويقال: هي حاشية الثوب أي جانب كان.

وخـرَّج الإمـام أحمد في مسـنده عن معاويـة بن قرة عن أبيـه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أن رجـلاً كان يـأتي النبي ﷺ ومعه ابـن له، فقال له النبي ﷺ: **أتحبه؟** فقال: يا رسـول الله أحبك الله كما أحبه، ففقـده النبـي ﷺ. قال: **ما فعـل ابن فلان؟** قالوا: يا رسـول الله مـات. فقـال رسـول الله ﷺ: **مـا تحب أن لا يـأتي باباً من أبواب الجنة إلا وجدته ينتظرك؟** فقال رجل: يا رسول الله له خاصة، أو لكلنا؟ قال: **بل لكلكم**».

وخرجه النسائي وغيره، منهم الطبراني في معجمه ولفظه «كان النبي ﷺ إذا جلس يجلس إليه نفر من أصحابه، وفيهم رجـل لـه ابن صغير يأتيه مـن خلف ظهره، فيقعـد بين يديه إلى أن هلـك الصبي، فامتنع الرجـل أن يحضر الحلقة، يذكر ابنـه ويحزن عليه، ففقده النبـي ﷺ فقال: **مالي لا أرى فلاناً؟** فقالوا: يا رسـول الله، بنيه الذي رأيت هلك فمنعه ذلك من حضـور الحلقـة. فلقيه النبي ﷺ فسـأله عنه، فأخـبره أنه قد هلـك فعزاه عليه، ثـم قال: **يا فلان أيهما كان أحب إليك، أن تمتـع به عمرك، أو لا تأتي غداً باباً من أبواب الجنة إلا وجدته قد سـبقك إليـه يفتح لك؟** فقال: يا نبي الله، بل يسـبقني إلى

أبواب الجنة فيفتحها لي أحب إلي. قال: **فذلك لك**، قال: فقام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله، جعلني الله فداك، هذا لفلان خاصة، أو لمن هلك له فرط من المسلمين كان له ذلك؟ قال: **بل كل من هلك له فرط من المسلمين كان له ذلك**».

وعن حسان بن كريب: أن غلاماً منهم توفي بحمص فوجد عليه أبوه أشد الوجد، فقال له حوشب - صاحب النبي ﷺ -: ألا أخبرك ما سمعت النبي ﷺ يقول في مثل ابنك: «إن رجلاً من أصحابه كان له ابن قد أدرك، فكان يأتي مع أبيه إلى النبي ﷺ، ثم توفي، فوجد عليه أبوه قريباً من ستة أيام، لا يأتي النبي ﷺ، فقال: **ما لي لا أرى فلاناً**؟ قالوا: يا رسول الله إن ابنه توفي فوجد عليه. فقال له رسول الله ﷺ لما رآه: **أتحب لو أن ابنك الآن كأنشط الصبيان وأكيسه. أتحب لو أن ابنك عندنا الآن كهلاً كأفضل الكهول وأسراه. أو يقال لك: ادخل الجنة بثواب ما أخذناه منك**» أخرجه أبو نعيم في المعرفة وهو في معجم ابن نافع وغيره.

وجاء عن عبدالله بين بريد عن أبيه رضي الله عنه قال: «كنا عند النبي ﷺ إذ بلغه وفاة ابن امرأة من الأنصار، فقام وقمنا. فلما

رآها قال: **ما هذا الجزع؟** قالت: يا رسول الله، ما لي لا أجزع وأنا رقوب لا يعش لي ولد؟ فقال لها النبي ﷺ : **إنما الرقوب التي يعيش ولدها، أما تحبين أن ترينه على باب الجنة، وهو يدعوك إليها؟** قالت: بلى. قال: **كذلك لك في ذلك**».

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما : «أن رجلاً من الأنصار كان له ابن يروح إذا راح إلى النبي ﷺ، فسأله نبي الله ﷺ فقال: **أتحبه؟** فقال: نعم يا نبي الله، فأحبك الله كما أحبه. فقال: **إن الله تعالى أشد لي حباً منك له. فلم يلبث أن مات ابنه ذاك.** فراح إلى النبي ﷺ وقد أقبل عليه ابنه، فقال رسول الله ﷺ : **أو ما ترضى أن يكون ابنك مع ابني إبراهيم يلاعبه تحت ظل العرش؟ قال: بلى يا رسول الله**» أخرجه الطبراني في معجمه الكبير.

وخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **ذراري المؤمنين يكفلهم إبراهيم عليه السلام في الجنة**» وفي الحديث الطويل عن سمرة بن جندب رضي الله عنه في رؤيا النبي ﷺ «**أنه أتاني الليلة آتيان وأنهما ابتعثاني – وفيه فأتينا على روضة معتمة فيها من كل نور الربيع، وإذا بين ظهراني الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء، وإذا**

حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط» وذكر الحديث وفيه «**وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم عليه السلام، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة**» الحديث خرجه البخاري مطولاً ومسلم والترمذي والنسائي.

وخرج أبو نعيم الأصبهاني من طريق الطبراني بإسناد رواه عن صبيح أبي العلاء عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة نودي في أطفال المسلمين أن اخرجوا من قبوركم، فيخرجون من قبورهم، ثم ينادى فيهم: أن أمضوا إلى الجنة زمراً. فيقولون: يا ربنا ووالدينا معنا؟ فيقول في الرابعة: ووالديكم معكم. فيثب كل طفل إلى أبويه فيأخذون بأيدهم، فيدخلونهم الجنة، فهم أعرف بآبائهم وأمهاتهم يومئذ من أولادكم في بيوتكم**».

وما أحسن ما عزى بعضهم صاحباً له بولده فقال:

فإن كنت تبكيه طلاباً لنفعه

فقد نال جنات الخلود مسارعاً

وإن كنت تبكي أنه فان عوده

عليك بنفع فاسل قد صار شافعا

وخرج الترمذي عن حماد بن سلمة عن أبي سنان - يعني عيسى بن سليمان القسملي - قال: دفنت ابني سناناً وأبو طلحة الخولاني جالس على شفير القبر، فلما أردت الخروج أخذ بيدي فقال: ألا أبشرك يا أبا سنان؟ قلت: بلى. قال: حدثني الضحاك بن عبدالرحمن بن عزرب عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات ولد العبد قال الله عز وجل لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة، وسموه بيت الحمد**».

وخرجه الإمام أحمد في مسنده والطبراني في معجمه. وجاء عن زيد بن أسلم قال: «مات ولد لداود النبي ﷺ، فحزن حزناً شديداً فأوحى الله إليه: ما كان يعدل هذا الولد عندك؟ قال: يا رب، كان يعدل هذا عندي ملء الأرض ذهباً. قال: **فلك عندي يوم القيامة ملء الأرض ثواباً**».

وببعض ما أوردناه، وبما روي مما جاء في معناه يتعزى عن مصابه من وفقه الله وهداه.

ولقد جاء عن جماعة من العلماء والعبَّاد تمني تقديم الأولاد؛ لما يعلمون في ذلك للمصاب من جزيل الأجر، وتضاعف الثواب. قال أبو الأحوص عوف بن مالك الجشمي: «دخلنا على ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعنده بنون له ثلاثة غلمان كأنهم الدنانير حسناً، فجعلنا نعجب من حسنهم. فقال لنا: كأنكم تغبطوني بهم. قلنا: أي والله، لمثل هؤلاء يغبط المرء المسلم، فرفع رأسه إلى سقف بيت له صغير، قد عشش فيه خطاف وباض. فقال: والذي نفسي بيده؛ لأن أكون نفضت يدي عن تراب قبورهم، أحب إلي من أن يسقط عش هذا الخطاف، وينكسر بيضه».

وقال أبو مسلم الخولاني رحمة الله تعالى عليه: لأن يولد لي مولود يحسن الله نباته، حتى إذا استوى على شبابه، وكان أعجب ما يكون، قبضه الله مني أحب إلى من أن تكون لي الدنيا وما فيها.

وروي أن عبدالله بن شوذب البلخي، كان له ابن وقد قارب الحلم، فأرسل إلى قومه فقال: أدعوا وتؤمنون على

دعائـي؟ قالوا: نعم. فدعا الله جل ثناؤه أن يقبض ابنه وليس له غيره. فأَمَّن القوم. ثم قالوا: يا أبا فلان، ما حملك على هذا، وليـس لك ولد غيره؟ قـال: إني رأيت كأن الناس قد حشروا ليوم القيامة، فأصاب الناس حر شـديد، وعطش شديد، فإذا الولدان قد خرجوا من الجنة ومعهم الأباريق، والكؤوس فيها الشراب، فأبصرت ابن أخ لي. فقلت له : يا فلان اسق عمك. قال: يا عم إنا لا نسـقي إلا آباءنـا وأمهاتنا. قال: فأحببت أن يجعله الله لي فرطًا، قال: فما لبث الغلام أن مات».

وقال محمد بن خلف - المعروف بوكيع- كان لإبراهيم الحـربي ابـن، وكان له إحدى عشرة سـنة، قد حفـظ القرآن ولقنه الفقه شيئاً كثيراً. قال: فمات. قال: فجئت أعزيه. فقال لي: كنت أشـتهي موت ابني هذا. قال: قلت: يا أبا إسحاق، أنـت عالم الدنيـا تقول مثل هذا في صبي قـد أنجب، وحفظ القـرآن ولقنتـه الحديث والفقـه؟ قال: نعم، رأيـت في النوم كأن القيامـة قد قامت، وكان صبيانـاً بأيدهم قلال فيها ماء. يسـتقبلون الناس يسـقونهم، وكان اليوم يوماً حاراً شـديداً حـره. قال: فقلت لأحدهم: اسـقني من هذا المـاء. فنظر إليَّ

وقــال: ليس أنت أبي. فقلــت: فأيس أنتم؟ قال: فقال: نحن الصبيــان الذيــن متنــا في دار الدنيا، وخلفنا آباءنا نسـتقبلهم فنسقيهم الماء. قال: فلهذا تمنيت موته».

وليقــل من أصيب بمصيبة أو نوع مــن البلاء، ما أُمِرَ به من الاســترجاع والدعاء، ومن ذلك مــا صحَّ من حديث أم المؤمنين أم ســلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت «سمعت رسول الله ﷺ يقول: **ما من مســلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم آجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها إلا أخلــف الله له خيرًا منهــا**، قالت: فلما مات أبو ســلمة قلت: أي المســلمين خير من أبي ســلمة، أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ؟ ثم إني قلتها. فأخلف الله لي رسول الله ﷺ» الحديث أخرجه مسلم.

وعن أم سلمة أيضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل: إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم عندك أحتسب مصيبتي، فأجرني فيها وأبدلني بها خيراً منها**» أخرجه أبو داود والنسائي في عمل اليوم والليلة.

وخرج ابن ماجة عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالت: قال النبي ﷺ: «**من أصيب بمصيبة فذكر مصيبته فأحدث استرجاعًا وإن تقادم عهدها كتب الله له من الأجر مثله يوم أصيب**»، وخرَّجه الإمام أحمد ولفظه «ما من مسلم يصاب بمصيبة فيذكرها، وإن قدم عهدها فيحدث لذلك استرجاعًا، إلا جدد الله تبارك وتعالى له عند ذلك مثل أجرها يوم أصيب».

وجاء عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**الضرب على الفخذ يحبط الأجر، والصبر عند الصدمة الأولى، وعظم الأجر على قدر عظم المصيبة، ومن استرجع بعد مصيبته جدد الله أجرها كيوم أصيب**».

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نعم العدلان، ونعم العلاوة، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون» وعلقه البخاري عن عمر، وهو من رواية سعيد بن المسيب. والعدلان: الصلاة والرحمة. والعلاوة: الهدى.

وروي عــن عبــدالله بن مطرف بن عبدالله بن الشــخير، وقــد مات له ولد «والله لو أن الدنيا وما فيها لي، فأخذها الله عز وجل مني، ثم وعد لي عليها شربة من ماء، لرأيتها لتلك الشربة أهلاً، فكيف بالصلاة والرحمة والهدى».

وروي عن ثابت البناني قال: «مات عبدالله بن مطرف، فخـرج مطرف على قوم في ثياب حسـنة، وقد ادهن فغضبوا وقالـوا: يموت عبـدالله ثم تخرج في ثياب مثـل هذه مدهناً؟ قال: أسـتكين لها، وقد وعدني ربي تبارك وتعالى عليها ثلاث خصال، كل خصلـة منها أحب إلي من الدنيا وما فيها كلها، قـال الله تعـالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ فأستكين لها بعد هذا».

وروي عــن سـعيد بن جبير «ما أعطي أحـد ما أعطيت هذه الأمة، قـال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾. ولو أعطيها أحد لأعطيها يعقوب عليه السلام، ألم تسمع إلى قوله: يا أسفا على يوسف».

وروي عن الحسن البصري رحمه الله تعالى: «أنه جاءه رجل فقال: يا أبا سعيد، إنه كان لي ابن صغير فمات، فإذا رأيت شيئاً مما كان يلعب به جزعت من ذلك جزعاً شديداً. فقد خفت أن يحبط بذلك أجري، قال: لن يحبط الله أجرك، فإذا رأيت شيئاً من ذلك فقل: اللهم اجعله لي أجراً، اللهم اجعله لي فرطاً».

ومما يؤثر من صبر من أصيب بأحبابه وتعزى بحسن العزاء عن مصابه، ما صح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «مات ابن لأبي طلحة من أم سلمة، فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة حتى أكون أنا أحدثه. قال: فجاء فقربت إليه عشاء فأكل وشرب، قال: ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك. فوقع بها أنه قد شبع وأصاب منها. قالت: يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت، فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوا؟ قال: لا. قالت: فاحتسب ابنك. قال: فغضب وقال: تركتيني حتى تطلخت ثم أخبرتيني بابني مني. فانطلق حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **بارك الله لكما في غابر ليلتكما**.

قال: فحملت» وذكر الحديث. وفيه «فولدت غلاماً، وفيه أن رسول الله ﷺ مسح وجهه، وسماه عبدالله». خرجاه في الصحيحين. وهذا لفظ مسلم مختصراً.

وفي رواية البخاري قال سفيان بن عيينة «فقال رجل من الأنصار: فرأيت لهم تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن، يعني من أولاد عبدالله، الذي ولد من جماع تلك الليلة، التي مات فيها الولد المذكور، وهو أبو عمير الذي كان النبي ﷺ يداعبه. ويقول: يا أبا عمير، ما فعل النغير» والحديث المذكور علقه بزيادة في آخره طاهر بن محمد الحداد في كتابه (عيون المجالس) عن معاوية بن قرة بنحوه.

وفي أخرى قال: «فحملت بابن له، فسماه رسول الله ﷺ عبدالله. ثم قال رسول الله ﷺ : **الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل صبارة بني إسرائيل**. فقيل: يا رسو ل الله. وما كان من خبرها؟ فقال: **كان في بني إسرائيل امرأة وكان لها زوج، وكان لها منه غلامان. وكان زوجها أمرها بطعام تصنعه ليدعوا الناس عليه ففعلت. واجتمع الناس في داره فانطلق الغلامان يلعبان فوقعا في بئر كانت في الدار، فكرهت أن**

تنغص على زوجها الضيافة، فأدخلتهما البيت وسجتهما بثوب، فلما فرغوا دخل زوجها فقال: أين ابناي؟ قالت: هما في البيت، وأنها كانت تمسحت بشيء من الطيب وتعرضت بالرجل حتى وقع عليها، ثم قال أين ابناي؟ قالت: هما في البيت، فناداهما أبوهما فخرجا يسعيان. فقالت المرأة: سبحان الله، والله لقد كانا ميتين. ولكن الله تعالى أحياهما ثواباً لصبري» وكان أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **لا يعيش له ولد، فقيل له:** إنك امرء ما يبقى لك ولد؟ فقال: الحمد لله الذي يأخذهم في دار الفناء، ويدخرهم في دار البقاء.

ويروي عن المعافى بن عمران عن شهاب بن خراش، عن عبدالرحمن ابن غنم قال: «**دخلنا على معاذ بن جبل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو قاعد عند رأس ابن له وهو يجود بنفسه، فما ملكنا أنفسنا أن ذرفت أعيننا وانتحب بعضنا، فزجره معاذ وقال: مه، فو الله ليعلم الله برضائي بهذا أحب إلي من كل غزوة غزوتها مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإني سمعته يقول: **من كان عليه عزيزاً وبه ضنيناً فصبر على مصيبته واحتسبه أبدل الله الميت داراً خيراً من داره، وقراراً خيراً من قراره، وأبدل المصاب الصلاة**

والرحمـة والمغفـرة والرضوان، فـما برحنا حتى قـضى الغلام حـين أخـذ المنـادي لصـلاة الظهر، فرحنـا نريـد الصلاة فما فجئنا إلا وقد غسله وحنطه وكفنه، وجاء رجل بسريره غير منتظر لشـهادة الإخـوان ولا لجمع الجيران. فلـما بلغنا ذلك تلاحقنـا فقلنا: يغفر الله لك يا أبـا عبدالرحمن، هلا انتظرتنا حتـى نفرغ من صلاتنا؟ ونشـهد ابن أخينـا، فقال: أمرنا ألا ننتظر موتانا سـاعة مـا توافق ليل أو نهـار، والإذن فيهم من نعـي الجاهلية، قال: فنـزل في القبر ونزل معـه آخر. فقلت: الثالـث يا أبا عبدالرحـمن؟ فقال: إنما يقـول الثالث الذي لا يعلمون. فلما سـوى عليه الـتراب أراد الخروج فناولته يدي لأنشـطه مـن القـبر، فأبى وقـال: مـا أدع لك لفضـل قوتي، ولكـن أكره أن يـرى الجاهل أن ذلك مني جزع واسـترخاء عند المصيبة». ثم أتى مجلسـه فدعـى بدهن فادهن، وبكحل فاكتحـل، وبـردة فلبسـها، وأكثـر في يومه ذلك من التبسـم ينـوي بـه ما ينوي، ثم قـال: إنا لله وإنا إليـه راجعون، في الله خلق من كل هالك، وعزاء من كل مصيبة، ودرك من كل ما فات» وذكر الحديث.

وقال نافع مولى بن عمر «اشتكي ابن لعبدالله بن عمر رضي الله عنهما، فاشتد وجده عليه، حتى قال بعض القوم: لقد خشينا على هذا الشيخ إن حدث بهذا الغلام حدث، فمات الغلام، فخرج ابن عمر في جنازته وما رجل أبدى سروراً. فقيل له في ذلك؛ فقال ابن عمر: إنما كان رحمة فلما وقع أمر الله رضينا به».

وروي عن سفيان الثوري قال: «قال عمر بن عبدالعزيز لابنه عبدالملك وهو مريض: كيف تجدك؟ قال: في الموت، قال له: لأن تكون في ميزاني أحب إلي أن أكون في ميزانك. فقال له: والله يا أبت لأن يكون ما تحب أحب إلي من أن يكون ما أحب. قيل: فلما مات ابنه عبدالملك. قال عمر: يا بني، لقد كنت في الدنيا كما قال الله جل ثناؤه: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ولقد كنت أفضل زينتها. وإني لأرجو أن تكون اليوم من الباقيات الصالحات التي هي خير ثواباً وخير أملاً. والله ما سرني أن دعوتك من جانب فأجبتني. ولما دفنه قام على قبره فقال: ما زلت مسروراً بك منذ بشرت بك، وما كنت قط أسر إلي منك اليوم، ثم قال: اللهم اغفر لعبدالملك بن عمر ولمن استغفر له.

وروى ابـن المبارك رحمه الله تعـالى في الزهد عن عياض ابن عقبة الفهري: «أنه مات ابن له فلما نزل في قبره قال رجل: والله إن كان لسـيد لجيش فاحتسـبه. فقال: وما يمنعني وقد كان بالأمـس من زينة الحياة الدنيا، وهـو اليوم من الباقيات الصالحات».

وروي أن شريحـاً القاضي مات له ابن، فجهزه وغسـله ودفنه بالليل، ولم يشـعر به أحد، وجلـس للقضاء من الغد، فجـاء الناس على حسـب العـادة يعودونـه ويسـألونه عنه. فقـال: الآن فقـد الأنـين والوجـع، فظـن الناس أنـه عوفي، فـسروا بذلك فقال: احتسـبناه في جنـب الله عز وجل، وهو يضحك، فتعجب الناس من ذلك.

ومات ابن لوكيع بن الجراح رحمه الله تعالى فخرج وروى للناس أربعين حديثاً، زيادة على ما كان يروي كل يوم.

وقـال أبو علي الرازي رحمـة الله عليه: صحبت الفضيل ابن عياض رحمه الله تعالى ثلاثين سـنة مـا رأيته ضاحكاً ولا متبسـماً إلا يـوم مات علي ابنـه رحمه الله تعالى. فقـال: إن الله سبحانه أحب أمراً فأحببت ما أحب الله.

وروى جعفر السراج من حديث سعيد بن عثمان قال: دخل ذو النون رحمه الله على مريض يتعوده فرأى المريض يئن، فقال ذو النون: ليس بصادق في حبه من لم يصبر على ضره. فقال المريض: لا. ولا صدق في حبه من لم يتلذذ بضره.

وقيل لرجل: كم لك ولد؟ قال تسعة. فقيل له: إنما نعرف لك واحداً؟ فقال: كان لي عشرة فقدمت تسعة، وبقي لي واحد، فلا أدري أنا له أم هو لي.

وروي عن عبدالرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: كان بحمى ضرية عجوز من بني بكر بن كلاب، يتحدث قومها عن عقلها وسدادها، فأخبرني من حضرها وقد مات ابن لها وكان واحدها، وقد طالت علته وأحسنت تمريضه. فلما مات قعدت بفنائها وحضرها قومها فأقبلت على شيخ لهم، فقالت: يا فلان ما حق من ألبس العافية، وأسبغت عليه النعمة، واعتدلت به الفطرة، أن لا يعجز عن التوثق لنفسه قبل حل عقدته، والحلول بقفرته، ينزل الموت بداره. تعني فيحول بينه وبين نفسه.

ثم أنشدت تقول:

هو ابني وأنسي أجره لي وأعزني
على نفسه رب إليه ولاؤها

فإن أحتسب أوجز وإن أبك أكن
كباكية لم يغن شيئاً بكاؤها

فقال الشيخ: إنما لم نزل نسمع أن الجزع إنما هو للنساء، فلا يجزعن رجل بعدك. ولقد كرم صبرك، وما أشبهت النساء.

فأقبلت عليه بوجهها وقالت: إنه ما ميز أمر بين جزع وصبر، إلا وجد بينهما منهجين بعيدين التفاوت في حالتيهما، أما الصبر فحسن العلانية محمود العاقبة. وأما الجزع: فغير معوض عوضاً مع مآثمه، ولو كانا في صورة رجلين لكان الصبر أولاهما بالغلبة، وبحسن الصورة، وكرم الطبيعة في عاجل الدين وآجله في الثواب. وكفى بما وعد الله عز وجل فيه لمن ألهمه الله إياه.

وقيل لأعرابية مات ابنها فصبرت: ما أحسن عزاءك؟ فقالت إن فقدي إياه أمنني المصيبة بعد.

وأنشد بعضهم في معناه:

وكنت عليه أحذر الموت وحده

فلم يبق لي شيء عليه أحاذر

وقال آخر:

ألا فليمت من شاء بعدك إنما

عليك من الأقدار كان حذاريا

وقال معن بن أوس من أبيات:

واعلم أني لم تصبني مصيبة

من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلي

وقال عبدالملك بن قريب الأصمعي: خرجت أنا وصديق لي إلى البادية، فضللنا الطريق، فإذا نحن بخيمة عن يمين الطريق فقصدنا نحوها، فسلَّمنا، فإذا امرأة ترد علينا السلام. قالت: ما أنتم؟ قلنا: قوم ضالون رأيناكم فأنسنا بكم. فقالت: يا هؤلاء، ولوا وجوهكم عني حتى أقضي من حقكم ما أنتم له أهل، ففعلنا، فألقت إلينا مسحاً. فقالت: اجلسوا عليه إلى أن يأتي ابني. ثم جعلت ترفع طرف الخيمة

وتردهـا إلى أن رفعتـه مـرة. فقالت: اسـأل الله بركـة المقبل. أمـا البعير فبعير ولدي، وراكبه فليـس بولدي. قال: فوقف الراكـب عليها وقـال يا أم عقيل. أعظـم الله أجرك في عقيل ولـدك. فقالت: ويحك مات ولدي؟ قـال: نعم. قالت: وما سـبب موته؟ قـال: ازدحمت عليـه الإبل فرمت بـه في البئر. فقالـت: انزل واقض ذمام القوم، ودفعت إليه كبشـاً فذبحه وأصلحـه وقرب إلينا الطعـام. فجعلنا نـأكل ونتعجب من صبرهـا، فلما فرغنا خرجت إلينا، وقالـت: يا قوم هل فيكم أحد يحسـن من كتاب الله عز وجل شيئاً. قلت: نعم؟ قالت فاقرأ علي آيات أتعزى بها عن ولدي.

قلـت: يقـول الله تعـالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ قالـت: آلله إنها لفي كتاب الله هكذا قلت: والله إنها لفي كتاب الله هكذا. فقالت: السـلام عليكم. ثم صفـت أقدامها وصلت ركعات ثم قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله أحتسب عقيلاً.

ثـم قالـت: اللهـم إني فعلت مـا أمرتني بـه فأنجز لي ما وعدتنـي، ولو بقي أحد لأحد. قـال: فقلت في نفسي: تقول لبقـي ابنـي لحاجتـي إليـه، فقالـت: لبقـي محمـد ﷺ لأمته. فخرجت وأنا أقول: ما رأيت أكمل منها ولا أجزل. ذكرت ابنها بأحسن خصاله وأجل خلاله رحمهما الله ، ثم لما علمت أن المـوت لا مدفع لـه ولا محيص عنـه، وأن الجزع لا يجدي نفعـاً، وأن البكاء لا يرد هالكاً، رجعـت إلى الصبر الجميل، واحتسـبت ابنها عند الله عز وجل ذخـيرة نافعة، ليوم الفقر والفاقة.

وقـال الأصمعـي رحمه الله تعـالى أيضاً: رأيـت بالبادية إعرابية جالسة على قبر ابن لها تندبه وهي تقول:

قـــبر عـــزيـــز عـلـيـنـا
لـو أن مـن فيه يفدى
أسـكـنـت قـــرة عيني
ويـؤنـس الـنـفـس لحـدا
مـا جـــار خـلـق علينا
ولا الـقـضـاء تـعـدى

والــصــبر أحــســن شيء

بـــه الـــكـــريـــم تـــردى

وقال أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد أخبرنا عبدالرحمن عن عمه عن يونس قال: «بينا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بعض الطرق إذا بأعرابي قد أقبل، فقال: يا أعرابي من أين أقبلت؟ فقـال: من عند وديعة لي في هذا الجبـل. قال: وما وديعتك؟ قال: بنيٌّ لي دفنته منذ سـنتين، فأنا في كل يوم أزوره وأندبه، فقال عمر: سألتك بالله ألا أسمعتني بعض ذلك؟ فقال:

يا غائباً ما يؤوب من سفره

عاجلـه موتـه مـن صغـره

يا قرة العين كنت لي أنساً في

طـول ليلي نعم وفي سـحره

مـا تقـع العين أينـما وقعت

في الحـي مني عـلى أثـره

شربت كأسـاً أبوك شاربها

لابـد يومـاً لـه عـلى كـبره

يشربهـا والآنـام كلهـم
من كان في بدوه وفي حضره

فالحمـد لله لا شريـك لـه
في علمـه كان ذا وفي قـدره

وقد قسم الموت في العباد فما
يقـدر خلـق يزيـد في عمره

قال: فبكى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم قال: صدقت يا أعرابي».

وقـال أبو العبـاس أحمد بن مـسروق: حدثنـا محمد بن الحسـين قال: حدثني موسـى بن عيسي عن الوليد بن مسلم عـن أبي عمرو الأوزاعي: قال: حدثنـي بعض الحكماء قال: خرجـت وأنا أريـد الرباط حتى إذا كنـت بعريش مصر، إذا أنـا بمظلة وفيها رجـل وقد ذهبت عيناه، واسترسـلت يداه ورجـلاه وبـه أنـواع البلاء، وهـو يقول: لك الحمد سـيدي ومـولاي. اللهـم إني أحمـدك حمـداً يـوافي محامـد خلقـك، كفضلك على سائر خلقك، إذ فضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلاً، فقلت: والله لأسئلنه أعلمه أو ألهمه إلهاماً، فدنوت منه وسلمت عليه، فرد علي السلام، فقلت له: رحمك الله إني

أسـألك عـن شيء تخبرني به أم لا؟ فقـال: إن كان عندي منه علم أخبرتك به. فقلت: رحمك الله، على أي نعمة تحمده، أم عـلى أي فضيلة من فضائله تشـكره؟ فقـال: أو ليس ترى ما قـد صنع بي؟ فقلت: بلى. فقال: والله لو أن الله تبارك وتعالى صـب عليَّ ناراً تحرقني، وأمر الجبـال فدمرتني، وأمر البحار فغرقتنـي، وأمر الأرض فخسـفت بي ما ازددت له سـبحانه إلا حباً، ولا ازددت إلا شكراً. وإن لي إليك حاجة أفتقضيها لي؟ قلـت: نعـم قـل ما تشـاء. فقـال: بنـي لي كان يتعاهدني أوقـات صـلاتي، ويطعمنـي عند إفطـاري، وقـد فقدته منذ أمس، فانظر هل تحسه لي؟ قال: فقلت في نفسي: إن في قضاء حاجتـه لقربـة إلى الله عـز وجل. وقمت وخرجـت في طلبه حتـى إذا صرت بـين كثبـان الرمال، إذا أنا بسـبع قد افترس الغـلام يأكله. فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، كيف آتي هذا العبد الصالح بخبر ابنه. قال: فأتيته وسلمت عليه، فردّ علي السـلام. فقلت: رحمك الله إن سـألتك عـن شيء تخبرني به؟ فقـال: إن كان عندي منه علـم أخبرتك به. قال: قلت: أنت أكـرم على الله عز وجل وأقرب منزلة، أم نبي الله أيوب عليه

السلام؟ فقال: بل أيوب عليه الصلاة والسلام أكرم على الله مني وأعظم عند الله منزلة مني، فقلت: ابتلاه الله فصبر حتى استوحش منه من كان يأنس به، وكان غرضاً لمرار الطريق، واعلم أن ابنك الذي أخبرتني وسألتني أطلبه لك افترسه السبع، فأعظم الله أجرك فيه. فقال: الحمد لله الذي لم يجعل في قلبي حسرة من الدنيا، ثم شهق شهقة وسقط على وجهه، فجلست ساعة ثم حركته فإذا هو ميت. فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون. كيف أعمل في أمره، ومن يعينني على غسله وكفنه، وحفر قبره ودفنه، فبينا أنا كذلك إذا أنا بركب يريدون الرباط، فأشرت إليهم فأقبلوا نحوي حتى وقفوا علي، فقالوا: ما أنت وما هذا؟ فأخبرتهم بقصتي، فعقلوا رواحلهم وأعانوني حتى غلسلناه بماء البحر، وكفناه بأثواب كانت معهم، وتقدمت أنا فصليت عليه مع الجماعة فدفناه في مظلته، وجلست عند قبره آنساً به أقرأ القرآن إلى أن مضى من الليل ساعات فغفوت غفوة، فرأيت صاحبي في أحسن صورة وأجمل زي، في روضة خضراء عليه ثياب خضر، قائماً يتلو القرآن. فقلت له: ألست صاحبي؟ قال:

بلى. قلت: فما الذي صيرك إلى ما أرى. فقال: اعلم أني وردت مع الصابرين لله عز وجل في درجة لم ينالوها إلا بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء. وانتبهت.

هاتان نعمتان عظيمتان: الصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، من وفق لهما فقد وفق لخير عظيم، ومن قام بهما فقد فاز بثواب جسيم، وحصل له رضى الرب الرحيم.

وأقول:

ينال الرضى عبد يقابل نعمة

بشكر ويلقى الصبر في العسر ناصره

ومن رضي الرحمن عنه فإنه

سعيد بفضل الله دنيا وآخره

وتحقيق الصبر على المصيبة بأمور:

منها: النظر إلى أن المصيبة في غير الدين أهون وأيسر عند المؤمنين.

ومنها: أن فوق كل مصيبة ما هو أشد منها، فيتفكر المصاب في مصيبته وما فوقها فيسلوا عنها. قال رجل لسهل

ابن عبدالله التستري رحمه الله تعالى: دخل اللص بيتي وأخذ متاعي. فقال: اشكر الله تعالى، لو دخل الشيطان قلبك فأفسد إيمانك ماذا كنت تصنع؟

وروى أن امرأة من العرب مرت بابنين لها، وقد قلتوا، فقالت: الحمد لله رب العالمين. ثم قالت:

وكل بلوى تصيب المرء عافية

ما لم يصب يوماً يلقى الله في النار

ومنها: العلم بأن المصائب كفارات مع أنها يسيرة فانية. وهي تدفع عقوبات الآخرة مع أنها خطيرة باقية.

ومنها: أن ما قدر يكون لا محالة، ومن ابتلي فقد حصل ما قدر عليه وناله وكفى شر ذلك ووباله.

وما أحسن ما روي في معناه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه. فقال: ما ابتليت ببلاء إلا وكان لله عز وجل علي فيه أربع نعم؛ إذا لم يكن في ديني، وإذ لم يكن أعظم، وإذ لم أحرم الرضاء به، وإذ أرجو الثواب عليه.

وأنشد سهل بن عبدالله التستري رحمه الله تعالى:

وثقت نفس عارف فاطمأنت

رضيت بالذي قضى فتهنت

لاح نـور الهدى لها مع يقين

فاستضاءت بذاك ثم استكنت

فرمت باللذيذ من كل عيش

وإلى أقرب مالك الملك حنت

ومن أسـباب السـلوى على المصائب، وأقـوى الأدوية لفاقـد الحبيب، العلم بأن الدنيا فانيـة وزائلة، ومن سرورها وشرورها آفلة، وهي مخلوقة للذهاب والأفول، وكل ما فيها يتغير ويحـول، ويضمحل ويفنـى ويزول؛ لأنهـا إلى الآخرة طريق، وهي مزرعة للآخرة على التحقيق.

روي عـن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان لسـليمان بن داود عليهـما الصـلاة والسـلام ابـن يجـد به وجـداً شـديداً فمات الغـلام، فحزن عليـه حزناً شـديداً، وروى ذلـك في قضائه ومجلسـه، فبعث الله تعـالى إليه ملكين في هيئـة البشر. فقال: مـا أنتما؟ فقـالا: خصمان. قال: اجلسـا بمجلـس الخصوم.

فقال أحدهما إني زرعت زرعاً فأتى هذا فأفسده. قال سليمان عليه السلام: ما يقول هذا؟ قال: أصلحك الله، إنه زرع في الطريق، وإني مررت به فنظرت يميناً فإذا الزرع، ونظرت شمالاً فإذا الزرع، ونظرت قارعة الطريق فإذا الزرع، فركبت قارعة الطريق. فكان في ذلك فساد زرعه. فقال سليمان عليه السلام: ما حملك على أن تزرع بالطريق، أما علمت أن الطريق سبيل الناس، ولابد للناس من أن يسلكوا سبيلهم؟ فقال له أحد الملكين: أو ما علمت يا سليمان أن الموت سبيل للناس، ولا بد للناس من أن يسلكوا سبيلهم. قال: فكأنما كشف عن سليمان الغطاء. وهذا من لطيف التعزية لمن حلت به رزية، ومن أعظمها نفعاً وأقواها للجزع رفعاً ما صح من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: «أرسلت بنت النبي ﷺ إليه أن ابناً لي قبض فائتنا، فأرسل يقرأ السلام ويقول: **إن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب.** فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها، فقام ومعه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت ورجال، فرفع إلى رسول الله ﷺ الصبي ونفسه تقعقع. قال: حسبته أنه قال: كأنها شن. ففاضت عيناه ﷺ . فقال سعد: يا رسول الله ما

هـذا؟ قال: **هذه رحمة جعلهـا الله في قلوب عباده، فإنما يرحم الله من عباده الرحماء»** خرجاه في الصحيحين.

وجـاء عـن عبدالرحمن بن غنم عن معـاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال: «مـات ابـن لي فكتـب إليَّ رسـول الله ﷺ: مـن محمـد رسـول الله إلى معـاذ بـن جبل، سـلام الله عليـك، فإني أحمد الله الـذي لا إلـه إلا هـو. أمـا بعـد: فعظَّـم الله لـك الأجر، وألهمك الصبر، ورزقنا وإياك الشكر، ثم إن أنفسنا وأموالنا وأهالينـا وأولادنا من مواهب الله عـز وجل الهنية، وعواريه المسـتودعة، متعـك الله بـه في غبطـة وسرور، وقبضـه بأجر كثـير، إن صبرت واحتسـبت لا تجمعن عليـك، يا معاذ، إن يحبـط جزعك أجـرك فتندم على مـا فاتك. فلـو قدمت على ثوابـك مصيبتك، عرفـت أن المصيبة قد يصبرن عنه، واعلم أن الجزع لا يرد ميتاً ولا يدفع حزناً فليذهب أسـفك، ما هو نازل بك فكان قد. والسلام» وخرجه أبو أحمدالعسكري في كتابـه (المواعظ) مـن طرق عن ابن عبـاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه، ورويناه من طريق عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وروي: أن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عزى الأشعث بن قيس بولد له توفي. فقال له: إن تجزع على ابنك فقد تستحق ذلك بالرحم، ولك بيعقوب عليه الصلاة والسلام قدوة، وإن تصبر ففي الله خلف. يا أشعث إن صبرت جرى عليك القدر، وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت مأزور. وأنشد بعضهم:

تعز بحسن الصبر عن كل هالك

ففي الصبر مسلاة السهوم اللوازم

إذا أنت لم تسل اصطباراً وحسبة

سلوت على الأيام سلو البهائم

وليس يذود النفس عن شهواتها

من الناس إلا كل ماضي العزائم

وروي أن أعرابياً من بني كلاب أنشد عمر بن عبدالعزيز حين مات ابنه عبدالملك فقال:

تعز أمير المؤمنين فإنه

لما قد ترى يغذى الصغير ويولد

هــل ابنــك إلا مــن ســلالة آدم
لــكل عــلى حــوض المنيــة مورد

ومـات لأبي الأحوص ابن صغير، فأتاه سـفيان وزائدة يعزيانـه. فـكان فيـما لسـفيان بعد مـا عـزاه أن قـال: إن الله سـبحانه أنعم عليك بـه - يعني الولد- إن وهبه ما شـاء أن يهب، ثم أنعم عليك أن قبضه إليه فكان مذخوراً لك عنده، فـلا تعد نعمته عليـك مصيبة، فكأنك قـد لحقت به، فسرك تقدمه إياك.

وروى الحاكـم أبـو عبـدالله محمد بـن إبراهيـم المؤذن: سمعت محمد بن عيسى الزاهد يقول: فيما بلغنا أن عبدالرحمن ابـن مهدي رحمـة الله عليه، مات ابـن له فجـزع عليه جزعًا شـديدًا، حتى امتنع من الطعام والـشراب، فبلغ ذلك محمد ابن إدريس الشـافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فكتب إليه: أما بعد. فعزِّ نفسك بما تعزي به غيرك، واستقبح من فعلك ما تستقبحه من فعل غـيرك، واعلـم أن أمـضى المصائـب فقد سرور مـع حرمان أجر، فكيف إذا اجتمعا على اكتسـاب زور». وفي غير رواية الحاكـم: فتناول حظك يا أخي إذا قـرب منك قبل أن تطلبه

وقد بعد عنك، ألهمك الله عند المصائب صبراً، وأجزل لنا ولك بالصبر أجراً» وفي رواية الحاكم وأقول:

إني معزيك لا أني على ثقة

من الحياة ولكن سنة الدين

فما المعزى بباق بعد ميته

ولا المعزى ولو عاشا إلى حين

وعزى إسماعيل بن هارون رجلاً عن ابنه فقال: والله لمصيبة في غيرك لك أجرها، خير من مصيبة فيك لغيرك ثوابها، وعزى موسى بن المهدي سليمان بن أبي جعفر، عن ابن له مات. فقال: أيسدك وهو بلية وفتنة، ويحزنك وهو صلاة ورحمة -يعني بالأول- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ وبالثاني قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ﴾.

وقال محمد بن كناسة. كتب رجل إلى أخيه يعزيه بابنه: أما بعد. فإن الله عز وجل وهب لك موهبة. جعل عليك رزقه ومؤنته. وأنت تخشى فتنة، فاشتد لذلك، فلما قبض الله سبحانه موهبته، وكفاك مؤنته، يعني وأمنك فتنته اشتد

لذلك حزنك. أقسم بالله لو كنت تقياً لعزيت على ما هنيت عليه، ولهنيت على ما عزيت عليه، فإذا أتاك كتابي هذا فاصبر نفسك عن الأمر الذي لا غنى بك عن ثوابه.

واعلم: أن مصيبته وإن عظمت، لم يذهب فرح ثوابها حزنها، فذلك الحزن الدائم، وأنشد بعضهم:

وإذا تصيبك مصيبة فاصبر لها

عظمت بلية مبتلى لا يصبر

وأنشد آخر:

وعوضت أجراً من فقيد فلا يكن

فقيدك لا يأتي وأجرك ذاهب

وكتب محمد بن السماك إلى هارون الرشيد يعزيه بولد له: أما بعد...

فإن استطعت أن يكون شكرك لله عز وجل حيث قبضه كشكرك له حيث وهبه لك فافعل، فإنه حيث قبضه أحرز لك هبته، ولو بقي لم تسلم من فتنته. أرأيت جزعك على ذهابه، وتلهفك على فراقه، أرضيت الدار لنفسك فترضاها

لابنك، أما هو فقد خلص من الكدر، وبقيت متعلقاً بالخطر. والسلام.

وكتب ابن السماك أيضاً إلى رجل فقال: إن من تمام الشكر على العافية الصبر على الرزية. ومن قدم وجد، ومن أخر فقد.

وروي أن ابناً للشافعي رضي الله عنه مات فأنشأ يقول:

وما الدهر إلا هكذا فاصطبر له

رزية مال أو فراق حبيب

وقال محمد بن الحسين بن عياش: حدثني عبدالله بن صالح. قال: وقف عبدالملك على قبر ابنه فقال:

وما الدهر والأيام إلا كما أرى

رزية مال وفراق حبيب

وإن امرءاً قد جرب الدهر لم يخف

تقلب عصريه لغير لبيب

وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء: حدثني الحسين بن عبدالرحمن أن رجلاً من قريش، قال في ابن له:

بني إن عدمتك في حياتي

فلن أعدمك ذخراً في المعاد

وكنت حشاشتي وجلاء همي

وإلفي والمفرج عن فؤادي

قال: وقال أبو يعقوب الخزيمي يرثي ابناً له في قصيدة:

فلولا رجاء الأجر فيك وإنه

ثواب وإن عز المصاب عظيم

وإنك قربان لدى الله نافع

وحظ لنا يوم الحساب جسيم

لأضعف حزني يا بني وأوشكت

على البواكي بالرنين تقوم

وأنشد بعضهم:

وما يغني التأوه إذ تولى

وهل ما فات مرتجع

فإقراراً وتسلمياً وصبراً على
ما كان من قدر الإله

وفي الابتلاء فوائد سنية، وحكم ربانية، منها ما ظهر بالاستقراء، وعلم بعض ما فيه من النعماء، ومنها ما لم يظهر لكن ادخر الله به فضلاً غزيراً. قال الله عز وجل: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾.

وروى الإمام أحمد في الزهد، من مراسيل الحسن «أن النبي ﷺ قال: **والله لا يعذب الله حبيبه، ولكن قد يبليه في الدنيا**».

وأقول:

إذا اشتدت البلوى تخفف بالرضا
عن الله قد فاز الرضيُّ المراقب
وكم نعمة مقرونة ببلية
على الناس تخفى والبلايا مواهب

ومن فوائد الابتلاء: النظر إلى قهر الربوبية، والرجوع إلى ذل العبودية، فإنه ليس لأحد مفر عن أمر الله وقضائه،

ولا محيد له عن حكمه النافذ وابتلائه، إنا لله ملكه وعبيده، يتصرف فينا كما يشاؤه وما يريده، وإنا إليه راجعون في جميع أمورنا، وإليه المصير يجمعنا لنشورنا.

ومنها حصول الإخلاص في الدعاء، وصدق الإنابة إلى الله والالتجاء وشدة التضرع لمن لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾.

قال بعض السلف: سنة الله استدعاء عباده لعبادته، بسعة الأرزاق ودوام المعافاة؛ ليرجعوا إليه سبحانه بنعمته، فإذا لم يفعلوا ابتلاهم بالبأساء والضراء، لعلهم إليه يرجعون.

ومن فوائد الابتلاء: تمحيص الذنوب والسيئات، وبلوغ الدرجات العلية في الجنات، وأعلا من ذلك كله، حصول رضى الله العظيم. الذي هو أفضل من الجنة ونعيمها المقيم.

ومنها: معرفة قدر العافية لمن غفل عن إحصاء ذلك وعده؛ لأن الشيء لا يعرف إلا بضده، فيحصل بذلك

الشكر الموجب للمزيد من النعم؛ لأن ما وسع الله بالعافية وأنعم، أكثر وأعظم مما ابتلى وأسقم.

روي أنه كان في زمن حاتم الأصم رجل يقال له: معاذ الكبير، أصابته مصيبة، فجزع منها وأمر بإحضار النائحات، وكسر الأواني؛ فسمعه حاتم فذهب إلى تعزيته مع تلامذته، وأمر تلميذاً له؛ فقال: إذا جلست فاسألني عن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ﴾ فسأله، فقال حاتم: ليس هذا موضع السؤال. فسأله ثانياً. وثالثاً. فقال: معناه أن الإنسان لكفور، عداد للمصائب، نساء للنعم، مثل معاذ هذا ، إن الله تبارك وتعالى متعه بالنعم خمسين سنة، فلم يجمع الناس عليها شاكراً لله عز وجل، فلما أصابته مصيبة جمع الناس يشكو من الله تعالى، فقال معاذ: بلى إن معاذاً لكنود عداد للمصائب نساء للنعم. فأمر بإخراج النائحات وتاب عن ذلك.

ومنها حصول رحمة أهل البلاء الموجبة لرحمة الله وجزيل العطاء «**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**».

ومنها: الدخول في زمرة المحبوبين، المشرفين بمحبة رب العالمين، فهو سبحانه إذا أحب قوماً ابتلاهم.

ومنها تيقظ المبتلى من غفلته، وطيب نفسه ببره وإخراج صدقتـه، روينـا عـن إبراهيم بـن العباس الصـولي الكاتب. قـال: اعتل الفضل بن سـهل ذو الرياسـتين علة بخراسـان فهنـوه بالعافيـة، وتصرفـوا في الكلام، فلما فرغـوا أقبل على النـاس. فقال: إن في العلل لنعماً ينبغي للعقلاء أن يعرفوها؛ تمحيـص للذنـوب، وتعـرض لثـواب الصـبر، وإيقـاظ من الغفلـة، وإذكار للنعمة في حال الصحة، واسـتدعاء للتوبة، وحض عـلى الصدقة، وفي قضاء الله تعـالى بعد الخيار. قال: فنسي الناس ما تكلموا به وانصرفوا بكلام الفضل.

ومن فوائد الابتلاء: بقت الدنيا لأنكادها. وبعث النفس عـلى العمل ليوم معادها، فإنه إذا تفكر في ذهاب أحبابه علم أنهم شربوا بكأس لابد له من شرابه. قال محمد بن الحسـين: دخلـت على محمد بن مقاتل فقلت لـه: عظني. فقال: اعمل فإن مت لم تعد أبداً. وانظر إلى الذاهبين هل عادوا.

تذهـب أيامنـا عـلى لعـب

منـا بهـا والذنـوب تـزداد

أيـن أحبابنـا وبهجتهـم

بطيـب أيـام عيشـهم بادوا

ومن فوائد الابتلاء: منع صاحب البلية من خصال غير مرضيــة، كالخيــلاء والكبر، والأشر والبطــر، والتجبر، فكم من مبتل بفقد العافية. حصلت له توبة خالصة شـافية، وكم مـن مبتل بنفاد ماله، انقطع إلى الله تعالى بحسـن حاله، وكم من مصاب بفقد الأولاد، صبر على الحكم النافذ على العباد، فحصلــت له مـن الله الصلـوات والرحمة والهداية للرشــاد. وبتحقيق ذلك يحصل الفرح الشرعـي بالمصيبة وما يدانيها، لا الفرح الطبعي، فإن الكراهة بالطبع لاشك فيها، ولا يلام المصاب على حزن قلبه ودموع عينيه، وإنما النياحة ونحوها، من القول والفعل تحرم عليه.

وجاء عن ابن عباس ﵄ عن رسول الله ﷺ قال: «**رضى القلــب والعـين مـن الله عز وجـل، ورضى اليد واللســان من الشيطان**» وصح عن أبي مالك الأشعري ﵁: «أن النبي ﷺ قال: **أربع في أمتي لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة. وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتهــا تقام يـوم القيامة وعليها سربال مـن قطران، ودرع من جرب**» خرجه مسلم.

وجاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أيما نائحة ماتت قبل أن تتوب ألبسها الله سربالاً من قطران، وأقامها للناس يوم القيامة**».

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**النائحة - يعني تخرج من قبرها شعثاء غبراء، عليها درع من جرب وجلباب من لعنة، واضعة يدها على رأسها تقول: واويلاه. وملك يقول: آمين آمين. ثم يكون حظها من ذلك النار**».

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**إن هؤلاء النوائح يوم القيامة صفان في جهنم: صف عن يمينهم وصف عن يسارهم. ينبحن على أهل النار كما تنبح الكلاب**».

وعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**لعن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النائحة والمستمعة**» وصح عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية**».

وعن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «اشتكى سعد بن عبادة شكواً له، فأتاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعوده مع عبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فلما دخل

عليه فوجده في غاشية، فقال: **قد قضى؟** قالوا: لا يا رسول الله. فبكى النبي ﷺ، فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا، فقال: **ألا تسعمون أن الله عز وجل لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا -وأشار إلى لسانه- أو يرحم**».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «دخلنا مع رسول الله ﷺ[1] فقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك، وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان. فقال له عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟! فقال: **يا ابن عوف، إنها رحمة.** ثم أتبعها بأخرى. فقال ﷺ: **إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**».

---

(١) بياض بالأصل. وقد جاء في صحيح البخاري في كتاب الجنائز: «وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين، وكان ظئراً لإبراهيم عليه السلام، فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك، وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: **يا ابن عوف إنها رحمة**، ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ: **إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**».

وجـاء عن سـلمه بـن محارب قـال «وضـع إبراهيم بن النبي ﷺ في حجر النبي ﷺ، وهو يجود بنفسه، فقال ﷺ: **لولا إنه موعـد صادق، ووعـد جامع، وإن الماضي فـرط الباقي، وإن الآخر لاحق بـالأول، لحزنا عليك يا إبراهيم**. ودمعت عيناه. فقال ﷺ: **تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي الرب عز وجل، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون**».

وروى الزبـير بـن بكار، من طريق عبـدالله بن محمد بن عمر بـن علي بن أبي طالب: «أن إبراهيـم ابن النبي ﷺ توفي فخرج به، وخرج النبي ﷺ يمشي أمام سريره، ثم جلس على قبره، ثم دُلِّي في قبره، فلما رآه رسول الله ﷺ قد وُضع في قبره دمعـت عيناه. فلـما رأى أصحابه ذلك، بكـوا حتى ارتفعت أصواتهـم. فأقبـل عليه أبو بكـر رضي الله عنه، فقال: يا رسـول الله؛ تبكـي وأنـت تنهى عن البـكاء؟ فقال النبي ﷺ: **يـا أبا بكر، تدمع العين، ويوجع القلب، ولا نقول ما يسخط الرب**».

وروي أن سـليمان بن عبدالملك، لما مات ابنه أيوب قال لعمـر بن عبدالعزيـز، ورجاء بن حيـوة «إني لأجد في كبدي جمرة لا يطفئها إلا عبرة. فقال عمر: اذكر الله يا أمير المؤمنين،

وعليك بالصبر، فنظر إلى رجاء كالمستريح إلى مشورته، فقال رجاء: اقضها يا أمير المؤمنين، فما بذاك من بأس، فقد دمعت عينا رسول الله ﷺ على ابنه إبراهيم وقال: **العين تدمع والقلب يوجع، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون.** قال: فأرسل سليمان عينيه فبكى حتى قضى إرباً. ثم أقبل عليهما فقال: لو لم أنزف هذه العبرة لانصدعت كبدي، ثم لم يبك بعدها. فلما دفن ابنه أيوب وحثى على قبره التراب، قال: يا غلام دابتي، ثم التفت إلى قبره فقال:

وقفت على قبر مقيم بغفرة

متاع قليل من حبيب مفارق

وجاء أن إنساناً علوياً من طبرستان مات ابنه، فحضر الناس ليعزوه، فلم يخرج إليهم في اليوم الأول، ولا الثاني، ولا الثالث. ثم خرج إليه بعد ذلك فقال: ليس الموت بولدي ابتدى، ولا عليه اعتدى، ولا إليه انتهى، ولكني أتفكر في طول حسراته في الغربة علينا، وطول حسراتنا على غربته ووحدته. وبكى ساعة وأنشد:

واحسرتا للغريب في البلد

النازح ماذا بنفسه صنعا

فـارق أحبابـه فـما انتفعـوا

بالعيش من بعده ولا انتفعا

هـذا فؤادي لقد ملئ أسـفاً

قطعه الشوق والنوى قطعا

يقـول في نأيـه وغربتـه

عـدلاً مـن الله كل ما صنعا

وروى أن بعضهم وقف على قبر يندب صاحبه في جماعة يبكون معه، فقال:

يا موت ما أمساك من نازل

تنـزل بالمـرء عـلى رغمـه

تخطف العذراء من خدرها

وتأخـذ الواحـد مـن أمـه

لا صالحـاً تبقـي ولا طالحاً

إلا تؤديـه إلى ردمـه

حكـم عزيـز عـالم قـادر

سـبحانه ما جـار في حكمه

وروى الحافـظ أبـو عبدالله الحاكم في تاريخه عن سـعيد ابن المسـيب رحمـه الله تعـالى قال: «دخلنـا مقابـر المدينة مع

علي ابن أبي طالب ﵁، فقام على قبر فاطمة عليهما السلام. وانصرف الناس فقال:

لـكل اجتماع مـن خليلـين فرقة

وإن بقائـي بعدكـم لقليـل

وإن افتقـادي واحـداً بعد واحد

دليـل عـلى أن لا يـدوم خليـل

أرى علـل الدنيـا عـلي كثـيرة

وصاحبهـا حتـى المـمات عليـل

وروى أبـو محمد عبد الرحمـن بن عمر بن النحاس، من طريـق محمد بن سـليمان قال: قال العتبي: «لمـا دفنت فاطمة بنت النبي ﷺ، دفنها علي ﵁، ورجع وهو يقول:

لـكل اجتماع مـن خليلـين فرقة

وكل الـذي دون المـمات قليـل

وإن افتقـادي واحـداً بعد واحد

دليـل عـلى أن لا يـدوم خليـل

وقال العتبي: وتمثل ببيت العطنش الطبي:

أقول وقد فاضت دموعي غزيرة

أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب

أخلاي لو غير الممات أصابكم

جزعت، ولكن ما على الموت معتب

وما يروى من بكاء السلف عند الفراق، وتمثلهن بالأشعار عند غلبة الأشواق كثيرة جداً. وأحسن ما روي من ذلك منقولاً، وأجوده بكاء وأصدقه قيلاً، وأجمله رثاء وأعدله تمثيلا، ما روي عن جعفر بن محمد عن أبيه، عن علي رضي الله عنهم قال: «لما رش قبر رسول الله ﷺ جاءت فاطمة عليها السلام فأخذت قبضة من تراب القبر، فوضعته على عينها وبكت وأنشأت تقول:

ماذا على من شم تربة أحمد

أن لا يشم مدى الزمان غواليا

صبت عليَّ مصائب لو أنها

صبت على الأيام عدن لياليا

وقـال أبـو بكـر محمـد بـن الحسـين الآجـري في كتاب الشريعـة: بلغنـي أنه لما دفـن النبي ﷺ جـاءت فاطمة عليها السلام، فوقفت على قبره، وأنشأت تقول:

أمسـى بخـدي للدموع رسـوم

أسـفاً عليـك وفي الفـؤاد كلوم

والصبر يحسـن في المواطن كلها

إلا عليـك فإنـه معـدوم

لا عتـب في حزني عليـك لو أنه

كان البـكاء لمقلتـي يـدوم

ولقد أذكـرني هذا الكلام المنظم المشـار فيه إلى المصاب والأجل الأعظم، موت سـيدنا رسول الله ﷺ وشرَّف وكرَّم أبياتاً قلتها قديماً في معناه، نجعلها ختاماً لما قدمناه وهي:

ما الأمر في ذي الدار إلا منام

كل سيدري حين يأتي الحمام

يـقـول يـا لـيـت وأنـى له

والمـوت قد أطلق فيه السهام

يــــود لـــو أمــهــلــه لحظة
يتوب فيها عن ركوب الحرام
أنى له التوب وقد حشرجت
في الصدر منه النفس للاصطلام
يا نائمين انتبهوا طالما غر الأ
ولى المــاضــين طــول المـقـام
بينا همــوا في غفلة إذ أتى
ما كفهم عن فعلهم والكلام
وأسكنوا في حـضرة أذهبت
لحومهم لم تبق غير العظام
بل أسحقت تلك العظام التي
وجوههم كانت تنير الظلام
يا حسن ما كنا جميعاً فمذ
تـرحـلـوا عنا أقــام الـغـرام
كلما مــر حــديــث لهــم تضا
عــف الــشــوق وزاد الهيام
لله هـــذا المـــوت لم يـبـق ذا
تقوى لتقواه ولا ذا اجـترام

ولـو يحـاشي أحــداً في الـورى
حاشى نبي الله ذا الاحــترام
لـكـنـه أنهـلــه كـأســه وهــو
حــبيــب الله خـــير الأنـــام
فماجت الأرض بمن فوقها
لمـوتـه وانهـــل صــوب الغمام
وكـــل عـــين أنـــزفــت دمعها
وأهــون الدمع عليه انسجام
وأصبــح المسجد مــن فقده
يبكي كــذاك البيت ثم المقام
بل كل الأرض عمها فقده
وقــد عــلاهــا بعد نــور تنام
ولم يجــد خـلـق كأصحابه
إذ أودعــوه تحت تلك السلام
وانـــصرفـــوا عــنــه وكـــل له
حــزن وهــم لا يطيق الكلام
لله مـــوت المـصـطـفـى إنـه
رزء عظيم لا يضاهي العظام

فموت الخطب الجليل الذي
هــان به رزء الجياد الكرام
لكنه حي وفي روضة الوســ
ــيلة العظمي بأعلى المقام
عليه صــلى الله مــن فضله
وســاق تسليماً إلــيــه دوام
ثــم عــلى الآل وأصــحــابــه
والتابعين الأطيبين السلام

****

آخـر (بـرد الأكبـاد عـن فقـد الأولاد) والحمـد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وسـلم تسـليماً كثـيراً إلى يـوم الدين. تـم بقلم الفقـير إلى ربه البصير عبدالله الصالح الحسين، غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وإخوانه إلى يوم الدين. حرر في ٨ رجب سنة ١٣٦١هـ.

*****

فَصْلٌ

من علم أن الدنيا دار ممر، وأن الآخرة هي دار المقر، ودار كدر لا صفو فيها للبشر، إن أعطت قليلاً سلبت كثيراً، فكيف يأسى على مفقوده، أو يفرح بموجودة، طبعت على كدر، وأنت تريدها صفواً من الأكدار والأقذار، إن أضحكت قليلاً أبكت كثيراً، وإن أسرَّت يوماً أساءت دهراً، وإن متعت قليلاً منعت طويلاً، ممزوجة بالنغص، مشوبة بالغصص.

قال إبراهيم الحربي: اتفق العقلاء من كل أمة أن من يمش مع القدر لم يتهن بالعيش.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إن لكل فرحة ترحة، وما ملئ بيت فرحاً إلا ملئ ترحاً.

وقال ابن سيرين: ما كان ضحك إلا كان بعده بكاء.

وفي الترمذي مرفوعاً: «يود ناس يوم القيامة أن جلودهم كانت تقرض بالمقاريض في الدنيا، لما يرون من ثواب أهل البلاء».

وقال بعض السلف: لولا مصائب الدنيا لوردنا القيامة مفاليس، فسبحان من ينعم بالبلاء، ويبتلي بالنعماء، قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت، ويبتلي الله بعض القوم بالنعم.

وعلى المصاب العاقل: أن يعلم أن الذي ابتلاه بها أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، وما أرسل إليه البلاء ليهلكه ولا يعذبه، وإنما أصابه ليمتحن صبره وإيمانه، ويسمع تضرعه وابتهاله.

ما قد قضى يا نفس فاصطبري له

ولك الأمان من الذي لم يقدر

ولتعلمي أن المقدر كائن

يجري عليك عذرت أو لم تعذري

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى في قوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾.

اعلم أن من علم أن ما قد قضي لابد أن يصيبه، قل حزنه وفرحه، فهن المنايا أي واد سلكته، عليها القديقي أو على طريقها.

قال ابن الجوزي: من يعلم حقائق الأشياء رأى الأسا عاماً والأغراض منعكسة، وعلى هذا وضع هذه الدار، فمن طلب نيل غرضه من هذه الدار، فقد رام ما لم توضع له. بل ينبغي أن يوطن نفسه على المكروه. فإن جاءت راحة عدها عجباً:

ومن يرجو من الدنيا بقاء

كمن يرجو شراباً من سراب

قال وهب بن منبه رحمه الله: لا يكون الرجل فقيهاً كامل الفقه، حتى يعد البلاء نعمة، ويعد الرخاء مصيبة.

وقال الحسن: الصبر كنز من كنوز الجنة، ولا يعطيه الله إلا لعبد كريم.

ومات لبعض السلف ابن نفيس. فقال لأمه: اتقي الله واحتسبيه واصبري، فقالت: مصيبتي أعظم من أن أفسدها بالجزع. وقال سليمان بن القاسم: كل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر. وقال عمر بن عبدالعزيز ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه مكانها الصبر، إلا كان ما عوضه خيراً مما انتزعه. فاصبر ففي الغيب ما يغنيك عن حيل، وكل

صعب إذا صابرته هانا، ومن تيقن أنه صائر إلى مولاه الحق، وأنه لابد أن يخلف الدنيا وراء ظهره، وأنه يجيء ربه فرداً كما خلقه أول مرة، بلا ولد ولا مال، ولا أهل ولا عشيرة، ولكن بالحسنات أو السيئات، فكيف يطمئن إلى الدنيا ويطمع بالبقاء فيها؟ ومن علم علماً جازماً أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لمن يكن ليصيبه؛ فعليه أن يسلم أمره إلى الله، وأن يسارع على الصبر على مرِّ بلاه، فإنه سبحانه جعل الصبر جواداً لا يكبو، وصارماً لا ينبو، وجنداً غالباً لا يهزم، وحصناً حصيناً لا يهدم ولا يثلم.

صبرت فكان الصبر خير مغبة

وهل جزع يجدي علي فأجزع

ملكت دموع العين حتى رددتها

إلى ناظري، فالعين في القلب تدمع

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وجدنا خير عيشنا بالصبر» وفي لفظ عنه: «أفضل عيش أدركناه بالصبر، ولو أن الصبر من الرجال كان كريماً»، وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «الصبر

مطيـة لا تكبو» وقال أيضاً: «ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الـرأس من الجسـد، فـإذا قطع الـرأس بار الجسـم، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له».

وقـال بعض السـلف في قوله تعـالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قال: كالماء المنهمر.

قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ قال: في غير جزع.

قـال عمـرو بـن قيـس: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ هـو الـرضى بالمصيبة والتسليم.

وقال جمع من المفسرين: أي لا شكوى معه:

لئـن كان بـدا الصبر مـراً مذاقه

فقد يجتنـي من غبـه الثمر الحلو

قـال ابـن عقيل: تهـون المصيبـة بالنظـر إلى جـلال من صدرت منه وحكمته وملكه.

قال شـقيق البلخي رحمـه الله: من شـكى مصيبة نزلت بـه إلى غـير الله تعالى لم يجـد في قلبه حـلاوة لطاعـة الله أبداً.

وعـن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾ قال: كظيم على الحزن فلم يقل إلا خيراً.

وروي عـن عبدالله بن مسـعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: «مـا أبالي إذا رجعـت إلى أهلي على أي حـال، أراهم بسراء أم بضراء، وما أصبحت على حال فتمنيت أني على سواها».

أيـا فرقة الأحبـاب لابد لي منك

ويـا دار دنيـا إنني راحـل عنك

ويـا قصر الآمـال مـالي وللمنى

وياسكرات الموت مالي وللضحك

ومـالي لا أبكـي لنفـسي بعـبرة

إذا كنت لا أبكي لنفسي فمن أبكي

فـإذا علم العاقـل أن الجزع لا يرد الفائـت، ولكنه يسر الشـامت، وأنه قـادح في الصبر، منقص للأجـر، فالواجب علينا الرضا والتسليم للإله المدبر الكريم.

أمـور القضا تمضي يقينـاً بلا مرا

على ذي الورى حتما فطوبى لصابر

فبعداً لمن يبغي خلاف الذي قضى

ولم يـرض بالمقـدور تبـاً لخـاسر

فكـن راضيـاً بـالله ربـاً مدبـراً

وسـلم مقاليـد الأمـور لقـادر

وكن صابراً واطلب رضى الله جاهداً

تنـل وعده يوم اللقـاء والتفاخر

ثكلنـا بـه طـراً فإنـا لربنـا

وعـما قليـل راجعـون لقاهـر

رضينـا بتدبـير الإلـه وعدلـه

فسـلم أخـي وكـن خـير صابر

فبـشراك يوم الفوز بالربح والهنا

فطوبـى لمـن يرضى بتدبـير قادر

ستلقاه يوم الحشر أحوج ما تكن

فأبشر وسر تلحـق بجل المتاجر

على العمـل المـشروع لله مخلصاً
حنيفـاً سـليماً مسـتقم السرائـر

ودم سـالماً فـالله يرعـاك وحـده
من الشر والأسقام مع كل ضائر

والحمـد لله أولاً وآخراً. وظاهراً وباطناً، وصلى الله على

سـيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه وسـلم. بقلم الفقير عبدالله الصالـح الحسـين، غفر الله لـه ولوالديه ولمشـايخه وإخوانه، رجب سنة ١٣٦١هـ.

